والأحزاب والأعيان ، واعتمد كلاهما مكان أولئك جميعاً على الجمهور القارىء ، ودخلا فى طور الفنون الخالصة التى لاغاية لها سوى وصف مشاعر الانسان وشعوره بجمال الحياة وغبطاتها ، وهو الطور الذى لم يبلغه الشعر والنثر العربيان تماماً ، بل قام من الأدباء الانجليز من ناصبوا الملكية والكنيسة ، مثل شلى وبيرون

وكان الشعر الانجليزى أسبق إلى الازدهار من النثر : فبلغ أوجه فى عهد اليزابث فى آثار شكسبير ومعاصريه ، وتجلت الروح الشعرية حتى فى النثر الفليل الذى خلفه ذلك العصر الحافل بروح الاقدام ، فهوكر مثلا وهو يدرس مسائل دينية يعرج فيصف الموسيقى وصفاً شعرياً رائعاً ؛ وتلا ذلك طور نثرى طويل فى القرن الثامن عشر ، بلغ فيه النثر الغاية من السلاسة ورحب الجوانب ، ثم كانت هبة قومية جديدة فنهض الشعر فى العهد الرومانسى نهضة باهرة ، وكان كثير من شعرائها كتابا حذاقا أيضا تفيض كتاباتهم النثرية بما تفيض به أشعارهم من روح رومانسية ؛ ثم ارتقى النثر فى أعقاب ذلك مرة أخرى ، فظهر من النقاد ماكولى وارنولد ، ومن القصصيين ثكرى ودكنز ، وما زالت القصة فى ازدهار مطرد

وبلغ النثر الانجليزى من الرقى الشكلى والموضوعى ما لم يبلغه النثر العربى : فظهرت فيه المقالة والصورة والترجمة والتأريخ والقصة الفنية . وبهذا كله تهيأ له أن يزاحم الشعر على مكانته ، لا سيما بفضل القصة والرواية التمثيلية ، بل هو انتزع الرواية التمثيلية من الشعر واستأثر بها . والقصة اليوم تستقل بأسماء أعلام الأدب الانجليزى ، وقد مارسها أكبر شاعرين محدثين : كبلنج وهاردى ، بل كانت ممارسة النثر بجانب الشعر دائما من أدب شعراء الانجليزية ، يبسطون فيه آراءهم فى النقد الأدبى والأحوال الاجتماعية .. فكان دريدن وكارلى وبوب الشعراء مثلا من أوائل من كتبوا المقالات ، أما كبار شعراء العربية فقلما روى لهم نثر مطنب

على أن الشعر الانجليزى وإن زاحمه النثر فى العصر الحديث هذه المزاحمة . واستأثر دونه بأكثر احتفال الأدباء والقراء ، لم يفقد موضعه الأثير من نفوس المثقفين ، وإنما هو يجتاز مثل عصر الركود الذى شهده فى القرن الثامن عشر ، إذ أن النثر والشعر كما تقدم يتجاذبان النفس الانسانية على اختلاف العصور ، بيد أن الناس حتى فى مثل هذا الطور لا ينزعون عن حبهم للشعر . بل يلتفتون إلى الماضى يروون صداهم من عبابه الزاخر ، ولا تزال لشكسبير وملتون ووردزورث وشلى منازل فى قلوب قراء الانجليزية ، كمنازل ابن الرومى والمتنبى والمعرى فى قلوب قرائهم ، لا يحتل مثلها الكتاب الناثرون فى كلا الأدبين

فخرى أبو السعود

بين يومى الهجرة والفتح

حمامتان تتناجيان

للأستاذ محمود غنيم

قالت الأولى : هلمى يا أختاه نغادر سطح هذا الغار - غار ثور - قبل أن يدركنا هذا الجيش اللهام ، فيغطينا العثير الذى تثيره سنابك خيله . يالله ! إنه ليحث الخطى نحو قومنا - قريش - ولا قبل لقومنا به ، عشرة آلاف أو يزيدون - إن صدق حدسى - مع كل منهم سيفه القاطع ودرعه المنيعة ، ويقين أقطع من سيفه وأمنع من درعه . يا لله لقريش ! من أين أقبل هذا الجيش ؟

قالت الثانية : لقد جاء القوم عن طريق يثرب ، لكنى لا إخالهم جميعا يثربيين . أنظرى ، هذه خيل من سليم ، وهذه من مزينة ، وهذه من غطفان ، هم أمشاج أخلاط ، من كل فج وعلى كل لون ؛ ولكن شيئا لا أكاد أتبينه ، تبدو أنواره على أساريرهم ، ويشع بريقه من عيونهم - يؤلف بينهم ، ويجعل منهم كتلة واحدة كأنهم بنيان مرصوص

بيد أن شعورا داخليا فى نفسى يجعلنى لا أرهب هذا الجيش ، حتى لا كاد أقف على ذباب سيوفهم وفوق شبا رماحهم آمنة مطمئنة ، كأننى فوق منبر الحرم ، أو على حافة مقام ابراهيم . أنظرى معى ، أنعمى النظر ، ألا ترين تلك الكتيبة الخضراء التى تتوسط الجيش ؟ ألا ترين هذا الرجل الذى يتوسط تلك الكتيبة الخضراء ، يومىء للقوم فيسيرون ، ويقفهم فيقفون ؟ إن لى عهدا بهذا الرجل - إن لم تخنى الذاكرة - آه ! تذكرت يا أختاه ، أليس هذا صاحبنا بالأمس الذى استضفناه فى هذا الغار ثلاثة أيام منذ عشرة أعوام ؟ إنه محمد ، محمد ، محمد ، ألا تذكرين ؟

قالت الأولى : تذكرت كل شيء ، حتى لكأن هجرته بنت الصباح ، وكأن مكانه فى الغار لايزال حارا ، وكأن جرس صوته يرن فى ادنى وهو يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ، ألم أحدثك يومئذ أن لهذا الرجل شأنا ؟ ما الذى أوحى إلينا يومئذ أن نحكم تدبير تلك المؤامرة التى اشتركنا فيها لتضليل القوم وإخفاء محمد عن عيونهم ؟ يوم عششنا بفم الغار ، وما كان فم الغار لابعش ، ونسجت العنكبوت خيوطها على بابه ، وما كان لها به عهد ، وأرسلت الشجرة الجرداء ذوائبها فاعترضت الطريق إليه . لقد تضافرنا على تضليل القوم حتى ضل القوم ، فظلوا يتخبطون فى كل مكان ، ويهيمون فى كل واد ، يبحثون عن محمد ، ومحمد منهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه ، لعثر عليه

تذكرت يوم تألب شبان قريش على محمد ، وأحاطوا بداره إحاطة السوار بالمعصم ، ينتظرون طلوع الصباح ، فيعطرون أديم الأرض بأطيب دم جرى فى أطهر عروق ، ويفصلون أعظم رأس عن أكرم جسد ، وكيف أن محمدا تغفلهم فى الهزيع الأخير من الليل فأضجع عليا فى فراشه ، وسجاه ببرده الحضرمى ، ليوهم القوم أنه هو ثم انسل من بينهم ، والكرى آخذ بمعاقد أجفانهم . كم كان ليلا هادئا ساكنا ، لم يقطع عليه سكونه إلا دبيب محمد الخافت ، يسير على أطراف أصابعه ، وإلا طرقة هامسة من أطراف أنامله على باب صديقه أبى بكر سرعان ما استجاب لها ، كأنهما كانا على ميعاد . على أنهما لم يأمنا أن يخرجا من باب الدار ، فخرجا من كوة فى الجدار ، ثم انجها فى طريق اليمن حتى طرقا علينا باب الغار ، وقد آذن أن ينبلج النهار ، فقابلناهما بالنجلة والاكرام ، طيلة ثلاثة الأيام . كم كان يثير إشفاقى وإعجابى ما كان يبدو عليهما من الخوف المركب فى طبيعة الانسان ، مقرونا بالثبات الذى تبعثه قوة الايمان !

نعم تذكرت ذلك كله ، وتذكرت كيف كان عبد الله بن أبى بكر يندس بين قريش نهارا ، ثم يوافيهما فى الغار ليلا ، فيسر إليهما ما يأتمرون به ، وكيف كان عامر بن فهيرة غلام أبى بكر ، يمر بغنم عليهما موهنا فيحتلبان ويذبحان ، ثم يعفى بها على آثار عبد الله . وتذكرت يوم اعترم الرحيل فالتمسا ما يعلقان به الطعام فشقت أسماء بنت أبى بكر — ذات النطاقين — نطاقها شطرين ، علقت الطعام بشطر ، وانتطقت بشطر . وتذكرت سراقة بن مالك وما كان من أمره يوم جعلت قريش لكل من يقبض على محمد مائة بعير ، فخرج يلتمس محمدا ، فاذا محمد منه عن كثب . لكنه ما كاد يصيح صيحة الظفر ، حتى شعر بجواده قد عثر ، فأنهضه فكبا ثانية ، ثم ثالثة ، حتى كأن الحصان نقد قوائمه ، أو فقد الأرض التى تستقر عليها قوائمه ؛ وإذ ذاك رأى الفارس أن الأرض أبت ظهرا من حصانه ، فترجل ودنا من محمد ، لكن لا ليقبض عليه ، بل ليعتذر إليه . ألم أخبرك يومئذ أن الرجل يكتنفه غموض وتحوطه أسرار ؟

قالت الثانية : دعينى مما تقولين ، أى سر فى جواد يكبو بصاحبه ، أو فى حمامة تبيض ، أو عنكبوت تنسج خيوطها ، أو شجرة ترسل أغصانها ؟ إنما السر كل السر فى تعاليم هذا الرجل التى تنفذ إلى قلوب أصحابه ، فتفعل فيها مالا تفعل خمر الأندرين ولا سحر بابل . لقد هاجر الرجل وهو وحيد طريد ، فمن أين جاء بهذا العدد العديد ، الغارق فى يلب الحديد ؟ ، أتذكرين ما كنت تتنبئين به يومئذ من أن أهل المدينة لن يكونوا أبر به من أهله الذين آذوه وطردوه ، ولو تمكنوا منه لقتلوه ، ولا من اهل الطائف الذين أغروا به الصغار ، فحصبوه بالأحجار ؟ أما كنت تقولين : مادا عسى أن تكون إقامة محمد بين ظهرانى أهل المدينة ، والمدينة معقل اليهودية التى يناصبها العداء ، ومهد الفتن التى لاتهدأ ثائرتها بين الأوس والخزرج ، وبينهما ما بينهما من تراث ودماء ، يتوارثها الأحفاد عن الاجداد ؟

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

لقد كنت تقولين ذلك ، وحق ماتقولين ، فليت شعرى ماذا فعل محمد حتى استسل تلك السخائم المستأصلة من نفوس الفيلتين ؟ وكيف هادن اليهود ، وهم اشد تمسكا بتوراتهم ، من اهل مكة بجهلهم ولاتهم ؟ — بماذا تفسرين هذا ؟ وماهو هذا الذى يأتى به يسميه قرآنا ، فيصبه فى الآذان كما تصب الخمر فى الأفواه ، ويتلوه عليهم كما تتلى الرقى والتعاويذ ؟ إن لم يكن خمرا ، ولم يكن سحرا ، فاى شيء هو ؟ لقد سافر محمد فى قلة وذلة ، لا ينفر منه وحش ، ولا تشعر بوطائه أرض ، فما باله يعود فتتدكدك الأرض تحت وقع سابك خيله ، وتلوذ الوحوش منه بفحم الجبال ؟ كان هو وزميله ودليله عند هجرتهم يسيرون ليلا ، ويختفون عن العيون نهارا كما يزور الحبيب الحبيب ، عند مايخشى عين الرقيب أزورهم وسواد الليل يشفع لى وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

كانوا لايأمنون نميمة الشمس ، ولا إغراء القمر ، ولا وشاية ظلالهم بهم ، ولا يطمئنون إلى سلوك طريق معبدة ذلول ، فهم أبدا يعوجون ويعرجون ويصدون وينحدرون ، فما بالهم الآن يسيرون — فى وضح النهار ، ويكادون يغطون فرص الشمس بما يثيرون من غبار ، ويهتكون حجابها بكل صارم بتار ؟

لشد ما تغيرت الحال ! ولشد ما تدهشنى تلك المغناطيسية التى تجذب اليه الرجال ! ولعمرى ما رأيت اتباعا أشد تعلقا بصاحبهم من تعلق أصحاب محمد بمحمد . أو ما تذكرين يوم كانت قريش تطرح بلالا على الرمضاء اذا اشتد الهجير ، وتلقى على صدره حجرا يثوم بحمله البعير . ليكف عن اتباع محمد ، فلا يزيد على قوله : احد ، احد ؟ أو ما تذكرين يوم أسرت هذيل زيد بن الدثنة وباعته من قريش

لتقتله ببعض قتلى بدر ، فتقدم اليه أبوسفيان ، وهو واقف على أبواب الأبدية وقال : أنشدك الله يا زيد : أيسرك أن محمداً الآن فى مكانك تضرب عنقه ، وأنت فى أهلك ؟ فقال زيد : والله ما أحب أن تصيبه شوكة فى قدمه وأنا فى أهلى . أليس معنى ذلك أن القوم يتفانون فى حب محمد ودين محمد ، وهم أشد ما يكونون تفانيا اذا حزب الأمر ، واشتدت اللازبة وتحرجت المواقف ،

قالت الأولى : لقد ذكرتنى بأبى سفيان وإننى أكاد ألمح شخصاً يشبهه فى سواد الجيش ، يسير تحت لواء محمد . أنظرى معى ، أنعمى النظر ، كأنه هو ، عجباً ! أترينه هو أيضا سرى فيه تيار كهرباء محمد وجذبه مغناطيسه فاستجاب له ، بعد أن ناهضه من بدء دعوته ؟ أليس هو قائد جيش المشركين ببدر ، ثم بأحد ثم بالخندق ؟ ثم أليس هو زوج هند بنت عتبة التى مضغت كبد عمه حمزة بأحد ، وأرادت أن تشق صدرها بابتلاعها لولا أن شعرت بمرارتها فلا كتها ، ثم قذفتها ، والتى آلت ألا يطأ فراشها أبو سفيان بعد بدر حتى ينتقم لأبيها وأخيها ، والتى جدعت أنوف صرعى المسلمين بأحد ، وصلت آذانهم ، واتخذت من كل ذلك قلادة تحلى بها عنقها ؟ ليت شعرى أترينها هى أيضا قد استجابت لمحمد فاستجاب بعلها ، إنها لأحاجى والغاز

قالت الثانية : حقا أنتى لألمح أبا سفيان يسير تحت لواء محمد بجوار عمه العباس ، وليس غريبا أن يكون تيار محمد جرفه كما جرف آلافا من أمثاله . إن تيار محمد جارف ، وريحه عاصفة تجتاح كل ما يعترضها فى طريقها ، ولئن كان أبو سفيان ناهض الاسلام ضعيفاً لما ضره أن يؤيده قوياً . وما أقل أشياع الضعيف حتى يشتد ساعده فيكثر أشياعه ، وينضوى تحت لوائه من أسرف فى عدائه . وهل تعتقدين أن كل من ناوأ الاسلام ناوأه مقتنعاً ببطلانه ، أو أن كل من أيده أيده بدافع من وجدانه ؟ وهل كان أبو سفيان بدعا فى الرجال ؟ كم لأبى سفيان من أمثال وأشباه ، كانت لهم تجارة وجاه أشفقوا عليهما وعلى أنفسهم من الهوان فصدهم ذلك عن الايمان . أما وقد تغير مركز محمد فيجب أن يعتدل موقف هؤلاء من محمد . وما يدريك أن أبا سفيان سيجنى من وراء إيمانه خيراً كثيراً ؟ وما يدريك أنه سيخرج من بين صلب أبى سفيان وترائب هند من يفتح البلاد ويتحكم فى رقاب العباد باسم محمد ودين محمد ؟ على أن أبا سفيان ما لجأ إلى الايمان ، إلا بعد ما قاساه من الهوان . أما سمعت ما تحدث به الناس أنه بعد أن نقضت قريش عهد الحديبية جعل قلب أبى سفيان لا يستقر بين ضلوعه خشية محمد وبطش محمد فتسنم راحلته ، وتوجه شطر المدينة ليؤكد العهد إن وفق ، أو يستشف نوايا محمد إن أخفق ، فنزل أول ما نزل على ابنته أم حبيبة زوج محمد ، فما كادت تراه حتى طوت فراشا كان مبسوطا أمامها ، فقال : أتطوين الفراش رغبة بأبيك عنه ، أو رغبة به عن أبيك ، فقالت : لا والله إنه فراش رسول الله الطاهر الأمين ، أخشى عليه دنس الشرك ورجس الوثنية ، فتشاءم الرجل ، ونهض مغضباً ، ودخل على محمد فازورعنه جانبه ، فلجأ إلى أبى بكر فطوى عنه كشحا فلاذ بعمر ، فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار . عندئذ ارتد على عقبه يجر ذيل الفشل وخيبة الأمل . على أنه بعدها لم يغمض له جفن ، ولم يهدأ له جأش ، وجعل يتوقع غزو محمد للمكة ، وإن كان محمد أحاط هذا الغزو بالكتمان . ولقد اشتد القلق بأبى سفيان ، فخرج منذ حين ليكشف أمر المسلمين . نعم لقد شاهدته منذ حين فى نفر من قريش ، خرجوا يستطلعون خبر الجيش ، فلقد تناقلت خبره الركبان ، رغم مبالغة محمد فى الكتمان . وكأننى بأبى سفيان ماكاد يلوح غبار الجيش لعينيه ، حتى سقط فى يديه . وكانت فى نفسه بقية شك فى دعوة محمد ، فما هو إلا أن رأى جيش المسلمين ، فاذا الشك يقين ، وكأنى به وقد مثل بين يدى محمد . فنظر اليه نظرة يكمن فيها شبح الموت ، ولسان حال الرسول يقول :

إن على الله أن تبايعا — تؤخذ كرها أو تجىء طائعاً

فلم يسع أبا سفيان إلا التسليم والاذعان

قالت الأولى : ها هو ذا الجيش قد دنا من مكة حتى صار قاب قوسين أو أدنى ، وإننى لألمح أبا سفيان واقفاً بمضيق تمر عليه جيوش المسلمين فيلقا فيلقا . وما إخال هذا إلا من تدبير محمد ، حتى يلمس الرجل مقدار ما يستهدف له قومه من الخطر إذا حدثتهم أنفسهم بالمقاومة ، فيذهب اليهم نذيرا ينقل ما ألقى فى نفسه من الرعب إلى قلوبهم . يالله لسياسة محمد ! إنه يريد أن يتم الفتح بدون أن تتطاير الرءوس ، أو تتناثر الأشلاء ، أو تراق قطرة من دماء . هل تريدين أن تبينى صدق ما أقول ؟ أرهفى أذنيك . أصيخى إلى هذا النداء : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » أسمعت النداء ؟ أتحققت صدق رغبة محمد فى السلام ؟ وكيف يريد أن يحقن دماء أهل المدينتين : التى ربته وليداً والتى آوته طريداً . ها هو ذا أبو سفيان ينقدم الفاتحين داعيا قومه إلى ترك الكفاح وإلقاء السلاح . وها هو ذا جيش الفاتحين ينقسم أربعة أقسام ، يدخلون مكة من جهاتها الأربع : الزبير بن العوام على رأس فريق ، وخالد بن الوليد على رأس فريق ، وسعد بن عبادة على رأس ثالث ، وأبو عبيدة بن الجراح على رأس رابع . ولست أظن أن هؤلاء سيلقون مقاومة ، وإن كنت أشك فى هؤلاء الذين

بقيمون باسفل مكة ، وعلى رأسهم عكرمة بن أبى جهل ، فما أظنهم يخلدون إلى الاستسلام ، بل يابون إلا امتشاق الحسام . على أن خالدا سوف يعمل فيهم نباله ونصاله ، فلا يلبثون إلا ساعة من نهار يلوذون بعدها بأذيال الفرار ، وتستطيعين أن تعتبرى هذا اليوم فى تاريخ مكة فاصلا بين عهدين ، خالدا على مر الجديدين . هنيئا لمحمد ! لقد غادر مكة آبقا تحت أذيال الظلام ، ثم دخلها دخول القياصرة العظام ، فليصدح مؤذنه بالأذان حتى يشق أجواز الفضاء ، وليقم شعائره فى ضوء النهار لا من وراء ستار ، وليطف بأرجاء مكة آمنا مطمئنا ، وليتفقد منزله إن كانت أبقت أيدى القوم عليه ، وليزر معاهد صباه ، وليغش حراء الذى كان يتحنث فيه ، وليملأ عينيه من أرض مكة وسمائها ، وليملأ رئتيه من هوائها ، ليتنفس هواءها الآن نقيا صافيا ، بعد أن حرمه عشرة أعوام ، وتنفسه مسموما موبوءا ثلاثة عشر عاما . ولتتداع إلى خاطره الذكريات ، وليستجمع العمر فى لحظات . ويل لهبل ومناة ، والعزى واللات ، ولتلك الأصنام المشدودة إلى الكعبة بالرصاص . ولتلك الصور التى تمثل ملائكة السموات غوانى فاتنات . هذا آخر عهدهن بأستار البيت ، لشد ما كان يمقتها محمد . وكأنى به يعمل فيها معول التحطيم ويحرم من أجلها على قومه النحت والتصوير ، وهكذا تسىء الوثنية إلى الفن كما أساءت إلى الدين ، ولكن ماظنين محمداً فاعلا لقريش ؟

قالت الثانية : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، إن محمدا أبر بقومه من أن يجد عليهم أو يؤاخذهم بما اقترفوا ، وإنه لأكبر من أن يتشفى بالثرة عند المقدرة ، وقريش يأسرها المعروف كما ترهبها حدة السيوف . ولو أن محمدا أراد الانتقام لرأى من المهاجرين محبذين ، ومن الأنصار أنصارا . إن سيوف أولئك وهؤلاء لتظمأ إلى ما فى عروق القوم من دماء ، أو ماسمعت سعد بن عبادة عندما دخل مكة صاح قائلا : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة » فما هو إلا أن سمع محمد صياحه ، فتعلصت شفتاه ، وقدحت الشرر عيناه ، ثم اختطف الراية من سعد ، وأعطاها قيسا ابنه . إن الرجل لايريد بقومه شرا ، وإنه ليضرب للعالم بذلك المثل الأعلى فى الصفح والمغفرة عند القدرة ، وإنى لأذكر لمحمد مواقف من هذا القبيل تعتبر مثلا عليا فى الصفح الجميل . فلقد سمعت أنه يوم حشد هذا الجيش لفتح مكة ، أخذ على الناس المواثيق أن يتكتموا أمره ولا يذيعوا سره ، ولكن حاطب بن بلتعة كان له بمكة ولد وأهل أشفق عليهم فكتب إليهم حتى يتجهزوا لقتال محمد ؛ بيد أن خبر الكتاب نمى إلى محمد ، فسرعان ماأرسل عليا والزبير فى أثر حامل الكتاب ، وكان امرأة فأدركاها فاعترفت بجرمها وأخرجت الكتاب من بين غدائرها . اتعرفين ماذا كان جزاء حاطب وهو من جيش الرسول ومن شهود بدر ؟ لقد جوزى على هذه الخيانة العظمى بالصفح والغفران ! قال عمر : دعنى يا رسول الله أضرب عنقه فان الرجل قد نافق ، فقال الرسول - بعد أن أطرق هنيهة - « دعه ياعمر وما يدريك أن الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » ، وهكذا تذكر النبى بجوار هذا الغدر موقف الرجل ببدر فاغتفر الاساءة اللاحقة للاحسان السابق وخالف مادرج عليه الناس ، فكل الناس

ينسى من الاحسان طودا قدرسا وليس ينسى ذرة ممن أسا

ولقد تمثلت محمدا إذ وقف بأحد بعد أن وضعت الحرب أوزارها فرأى عمه حمزة مبقور البطن مجدوع الأنف ممضوغ الكبد ممثلا به أى تمثيل . فأقسم لئن أظفره الله بقريش ليمثلن بسبعين من قتلاهم ؛ فما هى ذى قريش مطأطئة الرقاب ، وها هى ذى رءوس قريش دانية القطوف ، فما يمنع محمدا أن يطفىء من غلته ويبر بأليته ؟ إنه المتسامح فى أجمل صوره وأعلى أمثلته . على أننى لا إخال محمدا مهما بلغ من تسامحه يعفو عن الحويرث الذى اغرى على زينب ابنته عند هجرتها ، أو عن هذين الرجلين اللذين أظهرا الاسلام ثم ارتكبا جريمة القتل بالمدينة ثم ارتدا إلى الشرك ، أو عن قينة ابن خطل التى كانت تغنى وتسمر بهجائه ، فهو لابد قاتلهم . ولعلك لا تنكرين ذلك على محمد متناسية أن اللين لا بد أن يشوبه العنف وإلا شاه جماله . ولقد كانت لمحمد بجانب تسامحه البالغ صرامة بالغة . ولعلك تذكرين أنه يوم قبل الفداء من بعض أسرى بدر وأطلق بعضا آخر أبى إلا أن يضرب عنق النضر ابن الحارث وعقبة بن ابى معيط ، لشدة ماناله من الأذى على أيديهما قبل هجرته . ولعلك تذكرين أنه ما كادت جنود الأحزاب تتخلى عنه فى غزوة الخندق حتى تفرغ لليهود الذين تالبوا مع العدو عليه فى ساعة العسرة فأباح دماءهم وأموالهم ونكل بهم شر تنكيل ، وكيف أنه كان يعترض لقريش وغير قريش من المشركين يريق دماءهم ، ويسلبهم إبلهم وشاءهم حتى يعتصموا بالاسلام ، وما كان ذلك تجنيا من محمد ، ولكنها الدعوة الروحية يجب ان تؤيدها القوة المادية ، حتى ينظر إليها الناس نظرة جدية ، وهكذا تمهد السيوف للأقلام ، ويتضافر الاثنان على نشر لواء الاسلام

قالت الأولى : ثم ماذا بعد فتح مكة

قالت الثانية : ما يدرينا ؟ لعل كان محمد يعد قومه ملك فارس والروم فيتهكم به كفار قريش قائلين : « هذا ابن أبى كبشة - يعنون زوج مرضعه حليمة - سيرث ملك الأكاسرة والقياصرة » ، ولعله لو امتد بنا الزمان بضعة أعوام ، شهدنا تحقيق هذه الأحلام

قالت الأولى : لقد احسنا إلى محمد يوم آويناه فى الغار ، وساعدناه على الفرار .

قالت الثانية : أكبر الظن أننا أحسنا إلى الانسانية جمعاء : استحدثنا ثقافة ، وأقمنا بناء حضارة ، وغيرنا مجرى التاريخ .

كوم حمادة

محمود هشيم
مدرس بالمدرسة الابتدائية الاميرية